مُهِمَّاتٌ تربويَّة

رمضان ١٤٤٦ من الهجرة النبوية

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثالث يوم الاثنين 3 رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونسأله بمنّه وكرمه أن يرزقنا العافية، فإن أحدًا لم يعط خيرًا من العافية. ونسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعل عافيتنا في ديننا ودنيانا وأن ينشرها علينا وعلى أبنائنا وأزواجنا وذرياتنا وأهلينا، اللهم آمين.

والعافية إنما تُطلب من الله ويُطلب لها أسبابها. وهكذا دين الله، إذا طلبت من الله شيئًا، وجب عليك أن تأتي بأسبابه.

والعافية لها أسبابها، ومن أهم أسبابها، بل أهمها على الإطلاق: أن يكون الإنسان قد صاغ شخصيته وتفكيره صياغة مبنية على الوحي، وأن يكون الإنسان في هذا سائرًا على نور، فـ (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)، والناظر إلى الوحي -كتاب الله وسنة نبيه صلَّى الله عليه وسلَّم- يرى أن رب العالمين قد أرشدنا ونورنا وجعل

لنا بصائر في هذا الكتاب العظيم، كيف نصوغ تفكيرنا، وكيف نسير في حياتنا على هدى منه سبحانه وتعالى.

ومن ذلك: الحزب الأخير من سورة البقرة، نجد فيه شأنًا عظيمًا من شؤون صياغة شخصية الإنسان المؤمن، إنه **موضوع المال** الذي في حقيقته ابتلاء وامتحان واختبار، زُيِّن حبه للناس.

حين ننظر إلى هذا الحزب الأخير من سورة البقرة نجده غاية في العجب، فإنه يشكّل للإنسان طريقًا لتصحيح تفكيره وتحسين رؤيته، ويدفعه -هذا الحزب، إذا تأمّله- للتصرف السليم الذي سيورثه الحكمة.

تصرفات أُرشِد إليها الإنسان، سيكون من ورائها أن يكون الإنسان حكيمًا، بل إن الله سيؤتيه الحكمة. إذا وصل الإنسان إلى تصفية فؤاده، وإصلاح نفسه، وتنقية طبعه، حتى يصل إلى مراد الله في التعامل مع المال.

نستطيع أن نقف ونشرح حكمًا من أحكام المال مثل الربا، أو نستطيع أن نقف فنتكلم عن حكم الديون وكتابتها، أو يمكن أن نتكلم عن النفقة وأثرها، خصوصًا في نصرة الدين، يمكن

أن نتكلم عن هذا وهذا متفرقًا، لكن نرى أن هذا الحزب الأخير من سورة البقرة يشكّل لنا تفكيرنا ويصحح لنا مسارنا ونظرتنا للمال؛ لذا سننظر له نظرة شاملة، إلى أن نقف عند بعض الآيات ونؤكد على بعض المهمات التربوية الواجب على المربين الذين يريدون إصلاح أنفسهم وإصلاح مجتمعهم أن يهتموا بهذه المهمات.

سنرى بالإجمال الإرشاد القرآني في مسألة المال، ونبتدئ من الآية 245 في سورة البقرة.

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

نجد أولًا أنها أتت بعد الأمر بالقتال في سبيل الله، أتى الكلام عن الإنفاق وهذا له دلالات عديدة، منها أن الجهاد لا يقوم إلا بالمال، ومنها أمر آخر وهو الذي يهمنا الآن: أن إنفاق المال نفسه نوع جهاد. فرغّب الله فيه ترغيبًا عجيبًا!

المَلِك صاحب الخير، كثر خير ربنا وطاب. الملك العظيم يقول للعبيد حاثًا لهم أن يصححوا تفكيرهم ويصلحوا نفوسهم، وهو أعلم بهم، يقول لهم: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ

قَرْضًا حَسَنًا). فسمى رب العالمين الإنفاق في سبيله لنصرة دينه (قَرْضًا)، وهو -سبحانه وتعالى- صاحب المال، وهو -سبحانه وتعالى- مالك الملك، ومع ذلك يحثّ عباده بهذه الكلمة العظيمة لأجل أن يندفعوا للإنفاق ويصلحوا نفوسهم ويعالجوا البخل.

وهنا نتأمل ما ابتلي به الإنسان، لقد ابتلي الإنسان ببلاء الله أعلم به من حيث حبه للمال، وطمعه فيه، فالشحّ صفة الإنسان. الله أمرنا أن نعالج هذه الصفة في نفوسنا وحثّنا على ذلك بكلمة (القرض) من أجل أن نطمع في الثواب، (أقرضوا الله)، وهو غني عنكم، قرضًا تعلمون أنه يثيبكم عليه.

هذا يشبه في الحديث إن الله -عزَّ وجلَّ- يوم القيامة يقول: "يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قالَ: يا رَبِّ، وكيفَ أُطْعِمُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟"[1] المقصد: أن ربنا يجعل هذا المال عندك ابتلاء، ثم يستقرضك إياه، وهو الغني الذي أعطاك؛ لأجل أن تعين نفسك وتطمع في الثواب؛ لأن

---

[1] () أخرجه مسلم (2569).

القرض معناه: أن هذا المال يعود لك، بل قد سماه الله (قَرْضًا حَسَنًا)، والقرض الحسن يعني سيأتي ومعه خير. لو أقرضت غنيًا مالًا لأنه يريد أن يدخل في تجارة أو يشتري شيئًا وبقي عليه مبلغ بسيط، وهو غني، يريد أن يقترض منك قرضًا حسنًا، الحُسْن فيه أنه سيعود، والحُسْن فيه -لأنه غني- أنه سيعود ومعه شكر لك وهدية اختار أن يهديك إياها، لم تفرضها أنت عليه إنما أعطيته القرض بنيّة نفع المسلمين.

بين الناس القرض الحسن يكون صاحبه غنيًا، ويتأمل أن يأتي الخير من وراء هذا القرض، فكيف حين تقرض الله العظيم، وهو الملك العظيم! هو -سبحانه وتعالى- يردّ عليك ذلك بركات في الدنيا وحسنات وأجور في الآخرة.

لذلك حين نتأمل الآية هنا يقول رب العالمين: (فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) يا لعظمة رب العالمين! وسيأتينا كيف يخبر الله عن نفسه أنه الغني الحميد، الله يقول لنا: "أقرضوني" وهو الغني؛ لأن هذا فهم الناس؛ أنك تعطي أحدًا وهو يردّ عليك، فاعلم أن الله يردّ عليك بما هو أحسن منه.

حين نتأمل موقف أبو الدحداح -رضي الله عنه- وكيف أنه أقرض الله -عزَّ وجلَّ- الحائط الذي فيه ستمائة نخلة. لما نزلت هذه الآية جاء إلى الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- فقال: يا رسولَ اللَّهِ وإنَّ اللَّهَ -عزَّ وجلَّ- لَيريدُ منَّا القرضَ؟ قالَ: «نعَم يا أبا الدَّحداحِ» قالَ: أرِني يدَكَ يا رسولَ اللَّهِ، فَناولَه يدَهُ قالَ: فإني قد أقرضتُ ربِّي -عزَّ وجلَّ- حائطي فيهِ ستُّمائةِ نخلةٍ. فقال رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ ودار فساح لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ»[2]، قَالَهَا مِرَارًا! ما أعظم هذا الجزاء، ما أعظم هذه البشرى.

نتصور كيف أن رب العالمين يريد منا أن نتعامل مع هذا المال. ننفقه ويدعونا لذلك بجعل الإنفاق قرضًا، والوعد أنه يضاعفه، والإخبار أن الله يقبض ويبسط، وهذه الخاتمة عجيبة.

ما معنى (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)؟

من أسماء الله: (القابض)، (الباسط) -سبحانه وتعالى- وهذا كما في الحديث «ما من يومٍ يُصبحُ العبادُ فيه إلا وملَكانِ

---

[2] () أخرجه البزار (2033).

ينزلانِ، فيقولُ أحدُهما: اللهمَّ أعطِ مُنفقًا خلفًا، ويقولُ الآخرُ: اللهمَّ أعطِ مُمْسكًا تَلفًا»[3]، فكأنه يقال لنا: الله يقبض الماء ويبسطه، يضيق على من يشاء في الرزق ويوسعه على آخرين، فلا تبخل بالإنفاق بمالك لما وسع عليك، لئلا تبدل السعة الحاصلة لكم بالضيق، فلا انتفعتم بالمال في حياتكم ولا في آخرتكم.

(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يوم القيامة فيجازيكم، وكم أعطى الله الفقير الملك وسلبه من أهله، وكم قوّى الله الضعفاء مع الجمع القليل وأضعف الأقوياء مع الجمع الكثير! هذا سيكون واضحًا بعد ذلك في قصة طالوت، كيف أنه لم يؤتَ سعة من المال فآتاه الله -عزَّ وجلَّ- المُلْك.

بعدما أخبر -عزَّ وجلَّ- أنه يقبض ويبسط (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) أخبر عن قصة طالوت؛ ليُعلَم أنه قادر -سبحانه وتعالى- أن يرزق من يشاء متى ما شاء، وكيفما شاء -سبحانه وتعالى- فيعطي الفقير الملك ويسلبه من الأغنياء. فجاءت قصة طالوت بعد هذه الآية فيها إشارة إلى هذا المعنى، أن أنفقوا

---

[3]() أخرجه البخاري (1442).

فإن الله هو الذي ينفعكم بهذا المال، وهو الذي ينصر دينه، وهو الذي يقوي عزائم الخلق، وينفعهم بما يملكون.

لذلك نرى أن داوود -عليه السلام- في هذه القصة بعد أن كان لا يملك شيئًا، أصبح له الملك العظيم الذي نعرفه ونسمع عنه في القرآن. لما قتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة، وعلمه مما يشاء. لأجل موضوع الإنفاق وتزكية النفس وتطهيرها أتت قصة طالوت وجالوت وداوود، عليه السلام.

ثم نعود فننظر للآية (254)، فنجد رب العالمين، مرة أخرى، يأمرنا مرة أخرى بالإنفاق ويهذب نفوسنا في هذا الشأن:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

ثم تأتي آية الكرسي ويأتي ما ورائها من تقريرات عظيمة، وتأتي وراؤها ثلاث قصص كلها تدل على قدرة الله، أنه (عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وخصوصًا لو تأملنا القصة الأولى، الرجل الذي حاجّ إبراهيم -عليه السلام- هذا الرجل

ما حاجّه إلا لأن الله آتاه الـمُلك، فكان الـمُلك عليه بلاء وفتنة. فكُن على حذر من تلك الحال واعلم أن الله -عزَّ وجلَّ- على كل شيء قدير.

فجاءت هذه الآيات تبين كيف أن الله يخرج عباده من الظلمات إلى النور إذا صدقوا في إرادة الحق، وكيف أن الـمُلك يمكن أن يكون حاجزًا بين الإنسان وبين الحق، وكيف أن على الإنسان أن يطهّر نفسه من الطمع لأجل أن تصلح هذه النفس. فالـمُلك ربما أدّى إلى الطغيان كما في هذه القصة.

كل هذه القصص أشارت إلى أن الله (عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). قادر أن يخلق للخلق أرزاقًا وأن يحرمهم تلك الأرزاق؛ لذلك قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)[4] الله يخلق الأرزاق.

انظر لهذا الرجل الذي (مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا)، استبعد أن يحييها الله -عزَّ وجلَّ- وأن يجعل فيها

---

[4]() فاطر: 3.

خيرات، فأماته الله مئة عام ثم أحياه، وكان هذا الشأن العظيم الذي بعده اعترف أن الله (عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)؛ لذلك قال تعالى: (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ).

بعدما تنتهي قصة إبراهيم -عليه السلام- نسمع مرة أخرى بالتصريح

(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

ومن هنا تبدأ الأمثال القرآنية العظيمة في مسألة الإنفاق، وهذا هو الموطن الوحيد الذي تسلسلت فيه الأمثال، وموضوع الإنفاق أكثر موضوع ضُربت له الأمثال.

لما ضرب الله الأمثال وبيّن الإنفاق وآدابه وخطورة المنّ والأذى والرياء، وكل هذا تطهيرًا لهذه النفس، عاد مرة أخرى -سبحانه وتعالى- يخاطب المؤمنين، يقول لهم:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ

وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

(

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بسبب ما معكم من الإيمان (أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) مثل الآية التي تسبق آية الكرسي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم) ويذكرهم الله بالآخرة من قبل أن يأتي هذا اليوم العظيم الذي لا بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة، عاد رب العالمين يقول للمؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ) ويبين لأهل الإيمان آداب الإنفاق تهذيبًا لنفوسهم وإصلاحًا لها.

ثم يختم آية (267)، التي فيها الأمر مرة أخرى بالإنفاق، بقوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ).

بعدما أمرنا بالإنفاق وأن يكون الإنفاق من الطيبات، وبعدما حذرنا من أن نختار الخبيث من أموالنا لكي ننفق، وأشعرنا بخطورة هذا الأمر وعدم رضانا عن ذلك لنفسنا، لو كنتم مكانهم هل ستأخذون هذا؟ تصور هذا العلاج للنفس، أنك حين تخرج شيئًا، أخرج من الطيب الذي تحبه لنفسك،

ولا تختر الرديء الذي لا ترغبه، ولا تأخذه إلا رغما عنك وأنت مغمض أعينك، ثقيل هذا الشأن على نفسك.

ثم ينبهنا -عزَّ وجلَّ-: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)، ما أعظمها من مهمة، لا يجد الإنسان العافية في دينه إلا إذا علم أن الله غني -سبحانه وتعالى- فهو لم يطلب منكم الإنفاق لحاجته، تعالى الله عن ذلك، بل لم يأمركم بالطاعة لأنه يحتاج الطاعة، تعالى الله عن ذلك، إن الله يريد أن تزكوا أنفسكم وتطهروها وتصلحوها، فتكونوا صالحين لمجاورة رب العالمين في جنات النعيم. الله غني عنكم وعن صدقاتكم وعن أعمالكم، أرشدكم لها لتزكو أنفسكم وتطهر.

وإلا لو فنظرنا إلى واقع الناس اليوم، ونظرنا إلى هذه الفردانية، الكارثة الاجتماعية، كارثة حقيقية! يرى الناس آثارها. اليوم وقعت أضرار هذه الفردانية وقوعًا عظيمًا على نفسية الناس وعلى أحوالهم الاجتماعية، الناس ساروا وفلسفوا ما يسمونه بـ(حرية الفرد وحقوقه الخاصة)، وصارت هذه الفردانية أحد المبادئ الأخلاقية، التي لا يفكر فيها الإنسان إلا في نفسه. هذه الفردانية التي كان اسمها في

الزمن الماضي (أنانية) ويُذم الناس عليها، اليوم أصبحت قيمة ويفعلها الإنسان، حتى لو قفز على كل الاعتبارات، حتى لو انتهك الحرمات! في مثل هذه الفردانية الناس لا يسمحون لك بالكلام عن التضحية، لا يريدون أن تضحي مهما كان ما تضحي به ومن تضحي لأجله، بل عززوا سلطة الأنانية، وأصبحوا أفرادًا يسيرون في بحر الحياة، ما نظروا إلى الأضرار النفسية والاختلالات الاجتماعية نتيجة عدم وجود المفاهيم الأخلاقية التراحمية التي يدعو إليها الإسلام، انزلقوا في مفاهيم الفردانية وأصبحت الحياة كلها تعاقدية؛ كلها عبارة عن عقود هنا في الدنيا. والحقيقة أن النساء لهم النصيب الأكبر في هذا، فلما وجد النساء أنفسهن كأنهن الضحية وأنه مطلوب منهن التضحية فجاءت الفردانية تقول لكم: "اتركوا أبناءكم، أزواجكم، حياتكم، واستقلوا بأموالكم، وخذوا إجازة من مسؤولياتكم!" بصورة تجعل الإنسان لا يفكر إلا في الشهوات البهيمية. وحتى الذكور وجدوا أنفسهم في مستنقع من المطالب الترفيهية الاستهلاكية التي لا تنتهي، وهذه المطالب الاستهلاكية صوّرتها الدعاية التسويقية التجارية بمفاهيمها الرأسمالية بأنها أهم شيء في

الحياة، "أنت لا تستطيع أن تكمل حياتك إذا لم تشترِ كذا، إذا لم تزُر كذا، إذا لم تسافر إلى كذا، إذا لم تعمل كذا!" وأصبح الإنسان مشغولًا بهذه الشهوات، وسارت الحياة بالناس تقطعهم أشلاءً، وتفتت أفئدتهم في اللهث ورائها. إلى أن وصلوا -نسأل الله أن يحفظنا ويحفظ المسلمين- أن يبحثوا عن الدفء في تربية الكلاب الوفيّة! -في تصورهم- وهم بهذا يستعيضون بالكلام عن مفقودٍ تاه منهم، دون وعي، عن أبناء خرجوا إلى الحياة والتهوا بها، وعن أمهات تخلوا عن هؤلاء الأبناء، وقتما يستيقظون يجدون أنفسهم في دوامة من التروس الحادة التي تمنعهم من التفكير. تروس قطعتهم لأوصال فلا يستطيعون أن يصلحوا ما هم فيه، فيستعيضوا بأي شيء! هذا هو الواقع الذي يعيشه الناس!

للأسف مثل هذه الأفكار اليوم أصبحت شائعة بين أبنائنا ونسائنا، تدعوهم إلى تعزيز مفاهيم السلوك الفردي، وتسمع هذه الكلمات باسم (تنمية الذات وتطوير القدرات)، وفي النهاية لو أشرت إليهم أن المطلوب منهم ألا يعيشوا أنانيين ولأنفسهم، بل كلٌ ينفق مما أعطاه رب العالمين ويعيش

معطيًا محسنًا، (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)، يشعرون أن هذا الأمر كأنه شيء من الخيال!

نحن نخشى أن تسرق مفاتن الحياة الزائفة، ومتطلباتها الاستهلاكية الزائلة، تسرق نفوسنا فما نجدها إلا وقد استولى عليها الشيطان. الناس ترسخ في وعيهم الزائف أن ليس عليهم مسؤوليات إلا أنفسهم، وأن أي عطاء أو إحسان هذا استغلال.

لذا حين تسمع قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)، غني عن عطائكم، حميد على ما أمركم؛ لأنه يأمركم -سبحانه وتعالى- بهذه الأوامر الحميدة والخصال السديدة لأجل أن تصلح أنفسكم، وإلا لو تبنيتم مثل هذه الأفكار ستهلكون! تسمع مباشرة قوله تعالى:

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ) وهل أكثر من هذه الفحشاء، تتقطع الصلات بين الأبناء والآباء، يبخل الأبناء على آبائهم، ويبخل الآباء على أبنائهم، وتعيش

الأمهات لنفسها، هذا من أعظم ما وجده المجتمع من تفكك، ومن ثمَّ لا تسل عما يحصل بعد ذلك من فواحش، من مخدرات، من أمور الله أعلم بها!

(وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) فلتعلم وأنت تنفق أن الله واسع، فلتعلم أن الله (وَاسِعٌ عَلِيمٌ)، فلتعلم وأنت تصلح نفسك من صفة الشح والبخل، وأنت تردّ مقالات شياطين الإنس والجن ذكّر نفسك بأن ربك (وَاسِعٌ عَلِيمٌ)، يوسّع عليك في نفسك، يوسع عليك في أهلك، يوسع عليك في مالك، يوسع عليك في إيمانك. هذه الكلمة القرآنية العظيمة تحتاج إلى وقفة طويلة مع هذا الاسم (وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ماذا تظن؟ أنه يأخذ منك المال وهو الغني عن مالك، وهو الذي يخلق لك الأرزاق، تظن أنه يأخذ مالك وهو الذي يختبرك بذلك، ثم لا يوسع عليك؟ لا والله (وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) سبحانه وتعالى، لو تدري كم فضله وإحسانه علينا، وكم يعوض لنا هذا الإنفاق بصحة في أبداننا وقلوبنا وقوة في إيماننا ونشاطًا في طاعاتنا، سبحانه وتعالى!

(عَلِيمٌ) لماذا صدرت منك هذه النفقات؟ فالصادق يجازيه الله -عزَّ وجلَّ- من سعته وفضله وإحسانه، والصادق يعينه الله -عزَّ وجلَّ- فيرزقه مزيد عطاء، وتأتيه الفرص لمزيد إنفاق. يوسع عليه في المال ليزداد إنفاقًا فيزداد أجرًا، فيزداد مرتبة، لكن هذا ليس بالأمر الهيّن (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) وأنت انظر أي الداعيين تجيب (وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً) فلأي الداعيين تسمع وتستجيب؟!

لذلك بعد هذه الآية رب العالمين يقول:

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ) وهذا من آثار سعته -سبحانه وتعالى-، يعني أنه -سبحانه وتعالى- واسع عليم، وغني حميد، فإذا فعلت ما أمرك الله به وما ابتلاك به في المواقف، فأنفقت متى استطعت الإنفاق، من سعته -سبحانه وتعالى- أن يؤتيك الحكمة، هذا من أعظم ما يورثه الله -عزَّ وجلَّ- للإنسان من أثر إنفاقه ونجاحه في هذا الاختبار، وانصرافه عن عدوه الشيطان.

من أعظم ما يؤتي الله -عزَّ وجلَّ- الإنسان الحكمة، قال أهل العلم: "الحكمة هي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة الله وكماله وآثار هذا الكمال في شرعه وأقداره". تصور ماذا يكون من حلاوة الإيمان التي يذوقها الإنسان حين يؤتيه رب العالمين الحكمة التي وصفها الله -عزَّ وجلَّ- بهذا الوصف (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) رب العالمين يقول لك: "هذا خير كثير"، الإنسان حين يؤتى الحكمة، أهم شيء في موضوع الحكمة أن يكتشف حقيقة الحياة، ويكتشف أن لذّاتها لا تثبت وأن سرورها لا يبقى، وأن أحزانها تزول، وأن الدنيا سريعة في المضي. حين يكتشف الإنسان حقيقة الدنيا يتعامل معها بالطريقة السليمة، لا يأسى على ما فات، لا يفرح بما هو آت، يهتم بالدقائق والساعات والأنفاس، لأجل الدار التي يعمرها بعد مروره بهذه الدار. من أوتي الحكمة فعرف هذه الحقائق، أوتي خيرًا كثيرًا. أي خير أعظم من تصور وتفكير يكون أثره عمل، يكون أثره تقرير، أقرر قرار أن أسير إلى الله وأبذل كل قواي وأنفقها في سبيل الله. إن كنت أستطيع أن أعلِّم فأعلم، إن كنت أستطيع أن أنشر

الحق فأنشره، وإن كنت أستطيع إعانة المسلمين بما أملك من قدرات فأفعل ما أستطيع.

فتصور أن هذا الأمر الذي سيعطيه الله العبد سيكون به من ورثة الأنبياء، وتصور أن كمال العبد متوقف على هذه الحكمة؛ لأن الإنسان إذا كان قد أوتي الحكمة فقد أوتي القوتين:

القوة العلمية: فيعرف الحق.

والقوة العملية في هذه القرارات التي يتخذها: أن يعمل الخير ويترك الشر. ومن ثم تجد هذا الإنسان تصوراته صائبة، قراراته سليمة، خطواته على الصراط المستقيم.

(فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)، لكن من يتذكر هذا الأمر، ومن يرتب حياته على هذه الطريقة، ومن يصحح تفكيره بهذه الطريقة؟ إنهم القوم الذين ميّزهم الله وقال لنا عنهم: (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) هؤلاء الذين سيتأثرون بهذه الإرشادات العظيمة وسيزكون أنفسهم، وسيعلمون أن المال وكل ما يملك الإنسان إنما هو ابتلاء، ويمكن أن يكون سببًا

لرضا الرحمن إذا آمنا بوعده وتيقّنا به، ويمكن أن يكون سببًا لسخطه إذا استجبنا لوعد الشيطان.

وكما مر في النقاش أن بوق الشيطان الكبير اليوم: (الدعوة إلى الفردانية، وتقليل قيمة التضحية والبذل، والدعوة إلى الأنانية والنظر إلى كل عمل فيه خدمة للمسلمين على أنه نوع استغلال، وأنه ذاهب لا قيمة له)؛ ولذلك دائمًا نسمع هذا الصوت حين تقترب أوقات الإنفاق وأوقات الإطعام وأوقات البذل في سبيل الله. دائمًا نسمع هذا الصوت المزعج الذي يمنع الناس من الإنفاق في سبيل الله ومن نفع المسلمين ومن تعليمهم الخيرات، كل هذه أبواب عظيمة لنشر الدين.

تسمع ما تسمع من كلام الفاسقين والمنافقين، وتسمع ما تسمع من كلام شياطين الإنس والجن، والمشكلة حين لا يتنبه الطيبون أهل الخيرات أن هذا يفعله شياطين الإنس والجن، فيكونوا ممرات لهذا الكلام ويحصل من هؤلاء الطيبين نوع استجابة؛ لذلك مرة أخرى يقول لنا رب العالمين:

(وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)

تصوّر هذا المعنى: أنت أنفقت، وأعطيت وقلت: "أنا ألزم نفسي أن أعلم طالب القرآن، وأعلم في أرض كذا، وأبني في مكان كذا، متى ما تيسر لي المال أريد أن أبني في أرض المسلمين أو أساهم في مسجد أو أعلم طالبًا، أو أوزّع مصحفًا." ما أنفقت من نفقة كبيرة أو صغيرة وأردت أن تفعل هذا الفعل، فالله يعلمه ولا يخفى عليه منه شيء، ويعلم هل هو صدر عن إخلاص، أو غير ذلك. فإن صدر عن إخلاص وطلبًا لمرضاة الله، أتاك الأجر العظيم. حتى لو رأيت أنه ما وقع موقعه، أنت أنفقت، الله يعلم ما أنفقت، الله يجازيك على ما أنفقت.

لذلك يقول رب العالمين: (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) يا للعجب! هذا وعيد يقابل الوعد، الظالمين، أهل الشرك، أهل النفاق يمنعون الصدقات ويمنعون غيرهم أيضًا من ذلك، يمنعون الصدقات ويصدون غيرهم عن ذلك، واقرأ هذا في القرآن تجد أن رب العالمين يحذر من هؤلاء الذين شحوا إلى درجة أنهم يمنعون الماعون.

نلاحظ طول المناقشة في هذا الموضوع لتتهذب النفس، ونحن في هذه الساعة ما استطعنا أن نكمل الإشارة لهذه الآيات. رب العالمين يقول لنا:

(إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

(إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا) هذا حال الخفاء (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ)، أي نفقة. يمكن أن يقال هذا في الصدقات الخفية، هل يمكن أن أبدي الصدقة أو أن هذا سيكون رياء؟ رب العالمين يقول: "إذا أبديتموها أو أخفيتموها، أهم شيء ماذا في قلوبكم من هذا الإنفاق؟" وإن كان في الآية تفضيل لصدقة السر، لكن المقصد أن هذه الصدقة هي نوع تهذيب لهذه النفس؛ لذلك حين تقرأ في الآية (272) هذه الجملة القرآنية العظيمة (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ) لا تظن أن المنتفع هو الطرف الثاني، يجب أن تعرفوا أن ما تنفقوه فهو لكم، وهذه هي المهمة التربوية العظيمة. تصور كم أخذنا من الآيات لنصل

إلى هذه المهمة: المال الذي بين يديك ليس لتبخل به وإنما لتنفقه، وشرط إنفاقه سيظهر في هذا الجزء من الآيات:

أولًا:

(وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ)

لا بد أن تعلم ذلك، الله غني عنك وقادر على أن يغني هؤلاء الفقراء الذين رأيتهم ليسوا أهلًا لأن تعطيهم، وينصر هذا الدين الذي لم تشارك أنت في نصرته، وينفق على طالب العلم هذا الذي لم ترعَه ولم تهتم به، وقادر على أن يجعل هذا المسجد له من موارد الخير ما الله به عليم، وتذكر طالوت وجالوت وداوود -عليه السلام- وكيف تغيرت الأحوال.

(وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ) نفعه راجع إليكم. فهذا أول اعتقاد مهم من مهمات التربية: النظر إلى المال بطريقة سليمة، وملء القلب بعقيدة سليمة: أن الله غني حميد، وأن الله واسع عليم.

ثانيًا:

(وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ)

هذه النفقات التي يرضاها الله، لا بد أن تكون مقاصدك علية، ابتعد عن المقاصد الردية، كن من أهل الإخلاص.

ثالثًا:

(وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ)

يوم القيامة تجدون أجوركم عظيمة (**وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**) لا تُنقص من أعمالكم شيئًا ولا مثقال ذرة؛ لذلك انظر إلى خير ربنا -سبحانه وتعالى- كيف أنه يعطي الإنسان أجورًا عظيمة على عمل قام به مرة واحدة ويضاعفه له.

وقد ورد في الحديث: «مَنْ تصدَّقَ بعدْلِ تمرَةٍ مِنْ كسبٍ طيِّبٍ، ولَا يقبَلُ اللهُ إلَّا الطيِّبَ، فإنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينِهِ، ثُمَّ يُرَبيها لصاحبِها، كما يُرَبِّى أحدُكم فَلُوَّهُ حتى تكونَ مثلَ الجبَلِ»[5]

(فَلُوَّهُ)، الخيل الصغيرة المولودة، كيف يربيها الإنسان ويهتم بها؟ فالله يربي لك الصدقة ويُرْبيها ويزيدها، ما أعظم رب العالمين! كثر والله خير الله وطاب.

---

[5]() أخرجه البخاري (1410).

كيف الإنسان يعلّم إنسانًا، ينفق من علمه أو من ماله فيتعلم الفاتحة، أو يتعلم الإيمان، فكل مرة يقرأ فيها الإنسان الفاتحة تكون في ميزان هذا الذي علّمه أو أنفق عليه ليتعلم، ويكون كل تصرف إيماني خرج منه في ميزان هذا الذي علّمه، كثر والله خير الله وطاب. أمر عجيب!

المقصد أن التجارة مع الله رابحة، وأن هذا المال ابتلاء.

بقي علينا آيات في هذا السياق اقرؤوها وانتفعوا بها وكرروا هذا الحزب من سورة البقرة؛ لنحرك في نفوسنا الإنفاق والبذل والعطاء في كل ما نملك؛ المال وغيره مما ينفع أمة الإسلام.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممن أنفق مما يحب الله؛ فأحبه الله، وآتاه الحكمة فتبصر في طريقه إلى الله، ونجا يوم القيامة بهذا الإنفاق الذي ثقل الميزان.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يثقل ميزان كل المنفقين في سبيله، من أنفق على العلم، وآوى طلبة العلم، وجعل للعلم قوة، أنفق في سبيل الله، نرجو من الله أن يتقبل من الجميع إنفاقهم ويعيننا على أنفسنا.

نلتقي غدًا، إن شاء الله في مهمة من المهمات التربوية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته